

سورة تبت

١٦ / ٦٠٢

قال شيخ الإسلام - قدس الله روحه:

سورة «تبت» نزلت في هذا وامراته، وهما من أشرف بطنين في قريش، وهو عم علي، وهي عمّة معاوية، واللذان تداولوا الخلافة في الأمة هذان البطنان: بنو أمية، وبنو هاشم، وأما أبو بكر وعمر فمن قبيلتين أبعد عنه ﷺ واتفق في عهدهما ما لم يتفق بعدهما.

وليس في القرآن ذم من كفر به ﷺ باسمه إلا هذا وامراته، ففيه أن الأنساب لا عبرة بها، بل صاحب الشرف يكون ذمه على تخلفه عن الواجب أعظم. كما قال تعالى: ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنِ يَاْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ﴾ الآية [الأحزاب: ٣٠].

قال النحاس: ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾ [المسد: ١]، دعاء عليه بالخسر. وفي قراءة عبد الله: «وقد تب». وقوله: ﴿ وَمَا كَسَبَ ﴾، أي: ولده. فإن قوله: / ﴿ وَمَا كَسَبَ ﴾، يتناوله، كما في الحديث ولده من كسبه^(١). واستدل بها على جواز الأكل من مال الولد. ثم أخبر أنه: ﴿ سَيَصْلَى نَارًا ﴾ [المسد: ٣] أخبر بزوال الخير، وحصول الشر، و«الصلى» الدخول والاحتراق جميعا. وقوله: ﴿ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴾ [المسد: ٤]، أن كان مثلا للنميمة؛ لأنها تضرم الشر، فيكون حطب القلوب، وقد يقال: ذنبها أعظم، وحمل النميمة لا يوصف بالحبل في الجيد، وإن كان وصفا لحالها في الآخرة، كما وصف بعلها وهو يصلى، وهي تحمل الحطب عليه، كما أعانته على الكفر، فيكون من حشر الأزواج، وفيه عبرة لكل متعاونين على الإثم، أو على إثم ما، أو عدوان ما.

ويكون القرآن قد عمم الأقسام الممكنة في الزوجين، وهي أربعة إما كإبراهيم وامراته، وإما هذا وامراته، وإما فرعون وامراته، وإما نوح وامراته، ولوط. ويستقيم أن يفسر حمل الحطب بالنميمة بحمل الوقود في الآخرة. كقوله: «من كان له لسانان»^(٢) إلخ. والله أعلم.

آخر المجلد السادس عشر

(١) النسائي في البيوع (٤٤٤٩)، وابن ماجه في التجارات (٢١٣٧)، والدارمي في البيوع ٢/٢٤٧، وأحمد ٦/٣١ كلهم عن عائشة.

(٢) أبو داود في الأدب (٤٨٧٣)، والدارمي ٢/٣١٤، كلاهما عن عمار بلفظ: «من كان له وجهان...».